الحرب بالوكالة ومديات تطبيقها في المنطقة العربية

Proxy War and its application in the Arab region

1- د. نوار جليل هاشم - الجامعة المستنصرية-العراق

2- أ.م. امجد زين العابدين طعمة - مركز /الجامعة المستنصرية- العراق

Available online <https://www.maspolitiques.com/ojs/index.php/ajps/article/view/229>

Submitted: Jun 3, 2020

Published: Jun 29, 2020

Abstract

Due to the rapid geopolitical and technological developments of the international order during the past phases, and the increasing complexity and complexity of conflicts, some types of non-traditional warfare, especially the proxy war, have become increasingly exceptional, and many countries are interested in them in order to achieve their objectives and arrange their interests. In conflict zones in the world in general or in the Arab region in particular, or in supporting or achieving the objectives of national security.

At present, these wars provide an effective means for many States to interfere in the affairs of other States, and their types and tools have witnessed several developments, characterized by conflicts spreading in more than one place in the world.

And the importance of the subject of the study, and the lack of studies that highlighted it, especially those that dealt with its applications and models in the Arab region, which has witnessed a noticeable escalation in recent times, which requires to stand before and analyze, and then to develop scenarios of what could come in the future, in light of Accelerated developments.

Keywords: proxy war, conflicts, Interests, targets, Syria, Libya, Yemen

1-nawar74_2000@yahoo.com

2-amjdzain@yahoo.com

الملخص:

بفعل التطورات الجيوسياسية والتكنولوجية المتسارعة التي تعرض لها النظام الدولي خلال المراحل الماضية، وتزايد التعقيدات والتشابك للصراعات، فقد اكتسبت بعض أنواع الحروب غير التقليدية، وفي مقدمتها (الحرب بالوكالة) أهمية استثنائية متزايدة، لينصب اهتمام العديد من الدول عليها، في سبيل تحقيق أهدافها وترتيب مصالحها في مناطق الصراعات في دول العالم عامةً أو في المنطقة العربية بخاصة، أو في دعم أو تحقيق أهداف الأمن الوطني لها.

وتوفر هذه الحروب، في الوقت الراهن، الوسيلة الفاعلة للكثير من الدول، للتدخل في شؤون الدول الأخرى، وشهدت أنواعها وادواتها تطورات عدة، حددت ملامحها النزاعات المنتشرة في أكثر من مكان بالعالم.

ولأهمية موضوع الدراسة، وقلة الدراسات التي سلطت الضوء عليه، لاسيما تلك التي تناولت تطبيقاته ونماذجها في المنطقة العربية، والتي شهدت تصاعداً ملحوظاً في الآونة الأخيرة، الامر الذي يتطلب الوقوف امامها وتحليلها، ومن ثم وضع تصورات لما يمكن ان تؤول اليه في المستقبل، في ظل التطورات المتسارعة التي تشهدها.

الكلمات المفتاحية: الحرب بالوكالة، الصراعات، مصالح، اهداف، سوريا، ليبيا، اليمن

المقدمة:

بفعل التطورات الجيوسياسية والتكنولوجية المتسارعة التي تعرض لها النظام السياسي الدولي خلال المراحل الماضية، وتزايد التعقيدات والتشابك للصراعات، فقد اكتسبت بعض أنواع الحروب غير التقليدية، وفي مقدمتها (الحرب بالوكالة) أهمية استثنائية متزايدة في العقود الأخيرة، لينصب اهتمام العديد من الدول عليها، في سبيل تحقيق أهدافها وترتيب مصالحها المتعددة الاتجاهات في مناطق الصراعات والنزاعات في دول العالم عامةً أو في المنطقة العربية بخاصة، أو في دعم أو تحقيق أهداف الأمن الوطني للدول.

لذا تعد الحرب بالوكالة أحد أنواع الحروب القديمة/الجديدة التي تستخدمها الدول للحصول على غاياتها من دون الدخول في حروب مباشرة يجعلها تستنزف الكثير من الرجال والمال، فهي عادةً ما تكون حروب رخيصة الثمن مقارنة بأنواع الحروب الأخرى، وغالباً ما تستخدمها الدول الكبرى متجنباً المواجهة المباشرة بعضها مع البعض الآخر، وتؤدي في الوقت نفسه أدواراً مهمة في تنفيذ الاستراتيجيات والأهداف والمصالح الخاصة بها.

وتوفر هذه الحروب، في الوقت الراهن، الفرصة والوسيلة الفاعلة والناجعة للكثير من الدول الكبرى أو غير الكبرى للانخراط والتدخل في شؤون الدول الأخرى، وشهدت أنواعها وأجيالها وأدواتها تطورات عدة، حددت ملامحها الصراعات والنزاعات المنتشرة في أكثر من مكان بالعالم.

ولأهمية موضوع الدراسة، وقلة البحوث والدراسات التي سلطت الضوء عليه بشكل عام، لاسيما تلك التي تناولت تطبيقاته وامثلته ونماذجه في المنطقة العربية، والتي شهدت تصاعداً ملحوظاً في الآونة الأخيرة، الأمر الذي يتطلب الوقوف امامها وتحليلها، ومن ثم وضع تصورات لما يمكن ان تؤول اليه في المستقبل، في ظل التطورات المتسارعة التي تشهدها.

إشكالية الدراسة: الإشكالية التي تطرحها الدراسة تتعلق بالإجابة عن معنى مفهوم الحرب بالوكالة، ومتى تم استخدام هذا الأسلوب وفي أي منطقة بالعالم، وما هي مديات وأماكن تطبيقه في المنطقة العربية، واحتماليات استخدامه في نزاعات وصراعات محتملة في هذه المنطقة.

فرضية الدراسة: تنطلق الدراسة من فرضية مفادها ان أسلوب الحرب بالوكالة، من أساليب الحرب غير التقليدية التي تم استخدامها منذ فترة ليست بالقصيرة وفي العديد من الأمثلة، ويستخدم حالياً بكثرة في المنطقة العربية، وسيزداد اللجوء اليه في المستقبل من قبل العديد من القوى الإقليمية والدولية، بعدّه اسلوباً ناجحاً لتجنب الخسائر الفادحة ولتحقيق الأهداف الاستراتيجية.

منهجية الدراسة: عند الحديث عن منهجية الدراسة فقد تم استخدام المنهج التاريخي في تتبع مفهوم الحرب بالوكالة والمنهج الوصفي التحليلي في وصف وتحليل مفهوم الحرب بالوكالة ومديات تطبيقها في المنطقة العربية.

هيكلية الدراسة: تم تقسيم الدراسة الى ثلاثة محاور، تناول الأول التطور التاريخي لمفهوم الحرب بالوكالة، فيما ذهب الثاني الى دراسة مفهوم هذه الحرب، اما الثالث فقد خصص لدراسة مديات تطبيقها في المنطقة العربية.

المحور الأول: التطور التاريخي للحرب بالوكالة

عند الحديث عن نشأة وتطور مفهوم الحرب بالوكالة، تثبت الوقائع التاريخية، كما يتفق الكثير من المختصين والمهتمين بهذا الشأن بانها كانت موجودة بشكل فعلي، وطبقت منذ فترة ليست بالقصيرة تجاوزت العدة قرون، وفي مختلف انحاء العالم، فقد كتب المؤرخ الاغريقي ثوسايدس عنها، وذلك في وصفه لاستخدام المرتزقة والأفراد الأجانب في الحرب البيلوبونيسية بين كل من أثينا واسبرطة 431-404 ق.م، ويحمل كتاب جيرينت هيوز حول الحرب بالوكالة إشارات مأخوذة من ارثاشاسترا Arthashastra، وهي طروحات عن فن الحكم في الهند يرجع تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، فيما كتب الفيلسوف والكاتب السياسي الإيطالي ميكافيلي كذلك عن المرتزقة والمساعدين والذين وصفهم بانهم عديمي الفائدة وخطيرين في الوقت نفسه، لان الدولة التي تعتمد على المرتزقة لا يمكن ان تستمر طويلاً، وفي التاريخ الصيني، كانت هناك إشارات واضحة وصريحة للحرب بالوكالة، مثل توصية "اقتل بسيف مستعار" التي وردت في 36 حيلة للحرب¹.

¹ Tim Maurer, Proxies' and Cyberspace, Journal of Conflict & Security Law Oxford University, October 2016, p. 387.

<https://carnegieendowment.org/files/JConflictSecurityLaw-2016-Maurer-383-403.pdf>

وشهد التاريخ القديم امثلة عديدة حول استخدام أسلوب الحرب بالوكالة، منها حرب الثلاثين عامًا (1618-1648) ، والتي شهدت دعم البروتستانت الفرنسيون والكاثوليك الاسبان اقرانهم في الدين، اذ وبعد مرور قرنين من الزمان عليها، يمكن عدّها واحدة من حروب الوكالة، ويمكن كذلك تصنيف الحرب الأهلية الأمريكية كمثال واضح لهذا النوع من الحروب، حيث تم تفسير مبيعات الأسلحة البريطانية إلى الولايات الكونفدرالية الامريكية على نطاق واسع، على أن بريطانيا تحاول الاستفادة على المدى الطويل من ادامة الحرب، للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية من خلال انتصار الولايات الجنوبية الانفصالية.

وعند تتبع مجريات التاريخ، نجد امثلة أخرى لاستخدام أسلوب الحرب بالوكالة، ففي الحرب الفرنسية البروسية (الحرب السبعينية) عام 1870-1871، حاولت بريطانيا التأثير مرة أخرى في مجريات الاحداث المهمة، وذلك من خلال تدخلها في تسليح جيش الإمبراطورية الفرنسي بقيادة نابليون الثالث، لتقويض العدو المشترك بينهما، الاتحاد الألماني الشمالي بقيادة المستشار البروسي بسمارك، والذي سبّب طموحه بتوحيد المانيا، بشن هذه الحرب.

وحتى نهاية القرن التاسع عشر وما تلاه، فقد اثرت الثورة الصناعية بشكل كبير على تغيير نوعية الأسلحة المستخدمة في الحروب لتصبح اكثر فتكاً وتدميراً، الامر الذي أثر بشكل او باخر على اللجوء لاستخدام الأطراف الثالثة (الوكلاء) للتأثير في نتائج الحروب والنزعات، ليشهد القرن العشرين تحولاً كبيراً وانتشاراً أوسع في استخدام هذا الأسلوب من الحرب، وهو ما بدا واضحاً في موقف الولايات المتحدة الداعم لدول الحلفاء في السنين الثلاث الأولى من الحرب العالمية الأولى، اذ انه وعلى الرغم من موقفها الحيادي الرسمي الذي كانت تبديه تجاه طرفي الحرب، فإنها قدمت امدادات سلاح ضخمة، لدعم بعض الأطراف التي كانت تستخدمهم، لإعادة تشكيل الاحداث في اوروبا².

ومن وجهة نظر تاريخية، فإن روسيا تعد من أبرز الدول التي استخدمت أسلوب الحرب بالوكالة، اذ يرى المؤرخ العسكري البريطاني جون كيجان أن سلالة رومانوف، التي حكمت روسيا من القرن السابع

² Andrew Mumford Proxy Warfare, Cambridge, Polity Press, 2013. p. 11-12.

عشر حتى الثورة البلشفية عام 1917، جندت قبائل من القوزاق الروس بانتظام ليكونوا بمثابة وكلائهم وزيادة قواتها النظامية وغير النظامية، والأمثلة على ذلك كثيرة، إذ يمكن العثور على مختلف الوكلاء الروس في مختلف أنحاء شرق أوروبا ومنطقة القوقاز، ولكن أبرزها ما موجود اليوم في ما يطلق عليه حوض نهر دونتس أو دونباس في كل من سوريا وأوكرانيا³

وخلال مرحلة الاستعمار البريطاني، تم الاستعانة أو أحياناً إجبار أبناء الدول التي خضعت لسلطة الاحتلال، للعمل تحت قيادة ضباط انكليز وتحت العلم البريطاني، للقيام بأعمال الحرب بالوكالة، حيث تم الزج بالكثير منهم في اتون بعض الحروب الطاحنة كحرب البلقان والصحراء الكبرى⁴، وفي اب/أغسطس 1917 ذكر الضابط البريطاني توماس ادوارد لورنس، فيما يتعلق بدعم بلاده للتمرد العربي ضد الإمبراطورية العثمانية، قائلاً " لا تحاول ان تفعل الكثير بيدك، انها حربهم وعليك تقديم المساعدة لهم وليس الفوز بها"، وبالفعل، فان استراتيجية الحرب بالوكالة، وحسب مفهوم لورنس وارشاداته، ظلت حاضرة في السياسة البريطانية في الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأولى، بعدها استراتيجية لحرب بثمان بخس ولا يمكن مقاومتها⁵.

وتعد الحرب الاهلية الاسبانية (1936-1939) من الأمثلة التاريخية الواضحة عن الحرب بالوكالة، وذلك من خلال الدعم المباشر وغير المباشر الذي قدمته العديد من الدول لأطراف هذه الحرب، ففي حين قدم كل من (الاتحاد السوفيتي وفرنسا) الدعم لحكومة الجمهوريين، فقد قدمت المانيا النازية وإيطاليا الفاشية الدعم للصريح للثوار بقيادة فرانكو، وما قدمته الجهات الدولية الداعمة لكلا الطرفين من سلاح ومال ورجال ومساعدات أخرى، ساهم بشكل واضح في استمرار الحرب وانتشارها لمجمل الأراضي الاسبانية، من اجل تحقيق اهداف هذه الأطراف كل على حدة، سواء الاتحاد السوفيتي السابق الذي كان

³ Amos C. Fox, In Pursuit of a General Theory of Proxy Warfare, USA: The Institute of land warfare at the association of the United States army, 2019. p. 4

<https://www.ausa.org/sites/default/files/publications/LWP-123-In-Pursuit-of-a-General-Theory-of-Proxy-Warfare.pdf>

⁴ موزة العبار، الزمن العبيث والحرب بالوكالة، جريدة البيان الإماراتية، 2019/11/24، <http://bit.ly/2q9r5rP>

⁵ Maxim Worcester, Putin's Proxy Warfare Strategy, Issue No. 282, August 2014, Berlin, ISPSW Strategy Series: Defense and International Security, p. 2

https://www.files.ethz.ch/isn/182503/282_Worcester.pdf

يرغب ببقاء الحكومة الجمهورية الشيوعية بقيادة الحزب الشيوعي الاسباني، او المحور المضاد الذي كانت تقوده كل من المانيا وإيطاليا، والتي كانت تمنى النفس بقيام دولة قريبة لها ايدولوجياً⁶.

ومن الملاحظ فقد تزايد أصبح اعتماد الدول على استخدام أسلوب واستراتيجيات الحرب بالوكالة متأصلة في النصف الثاني من القرن العشرين، وازداد بذلك التحول من الاشكال التقليدية لحل النزاعات والحروب، الى اشكال جديدة غير تقليدية.

وبالمثل، يمكن عد الحرب الكورية (1950-1953) واحدةً من الأمثلة النموذجية للحرب بالوكالة، والتي دارت رحاها في القارة الاسيوية في اطار الحرب الباردة، على اثر انتهاء الاحتلال الياباني لها، بأثر الهزيمة التي تلقوها في الحرب العالمية الثانية، لتسفر هذه الحرب عن توقيع اتفاق هدنة هش مع استمرار التوترات بين جزئي كوريا، الشمالي الذي كان يتبع الاتحاد السوفيتي السابق، والجنوبي الذي كان يحظى بدعم الولايات المتحدة المباشر⁷، وفي أواخر عام 1955، وصف الرئيس دوايت أيزنهاور هذه الحروب بعدها "أرخص تأمين في العالم". عن طريق خفض العبء المالي والتكاليف السياسية فيما لو تم التدخل العسكري المباشر⁸.

أدت الحرب بالوكالة بشكل خاص، دوراً مهماً في منع الاصطدام المباشر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق، خاصة بعد ظهور الأسلحة النووية عام 1945⁹، وأصبحت بذلك وسائل التدخل بالوكالة، بديلاً مفيداً لمتابعة المصالح الاستراتيجية مع تقليل مخاطر تصاعد الصراع العالمي المباشر؛ بما في ذلك احتمال استخدام الأسلحة النووية، او تقاديتها او تجنبها في أحيان أخرى¹⁰، فخلال الحرب الباردة، شاركت القوتين العظميتين، (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي)، في ما يقارب 120 حرباً بالوكالة في البلدان النامية وفي مختلف القارات.

⁶ خليف مصطفى غرايبة، جوانب من الجغرافيا التاريخية للحرب الاهلية الاسبانية (1936-1939)، دورية كان التاريخية، العدد 5، سبتمبر 2009، ص14-15.

⁷ <https://elibrary.medi.u.edu.my/books/2014/MEDIU01534.pdf>

⁸ تراجان شيبلي، كيف يمكننا فهم استراتيجية الحرب بالوكالة، موقع نون بوست، 2017، <https://www.noonpost.com/content/20412>

⁹ Andrew Mumford, Op. Cit, P12-13.

¹⁰ Bilal Karbulut, Proxy Warfare in Ukraine, the Journal of Defense Sciences, 2018, Vol. 17, 1, p. 78

http://www.kho.edu.tr/akademik/enstitu/Alp_SAVBEN_dergi/171/3.pdf

¹⁰ Michel D. Wyss, Iranian Proxy Warfare in Iraq and Yemen, International Institute for Counter-Terrorism, 2016.

<https://www.ict.org.il/UserFiles/ICT-Rag-Iranian-Proxy-Wyss.pdf>

وفي أواخر الستينيات من القرن العشرين، أشار عالم السياسة والعلاقات الدولية هانز مورغينثاو صراحةً إلى مدى التدخل المباشر للأطراف الثالثة (الوكلاء) في خدمة مصالح السلطة الوطنية، بعدّها أداة قديمة وراسخة في السياسة الدولية، كما لوحظ أن العديد من الجهات الفاعلة من غير الدول، كان لها تدخلات في نزاعات وصراعات بالوكالة¹¹.

وفي أعقاب هزيمتها في حرب فيتنام، لجأت الولايات المتحدة إلى إجراء تعديلات جوهرية في استراتيجيتها العسكرية والدفاعية، وذلك من خلال اعتماد الحروب بالوكالة ضد خصومها واعدائها من الدول وغير الدول، والامثلة كثيرة على ذلك من كمبوديا ونيكاراغوا ومن ثم في أفغانستان، والتي اعتمدت فيها الحكومة الأمريكية على أطراف محلية لتنفيذ أهدافها واستراتيجياتها العسكرية في هذه البلدان، أو في محاربة البعض من اعدائها مثل الاتحاد السوفيتي وفيتنام.

أما في حقبة ما بعد الحرب الباردة، حافظت الحرب بالوكالة على أهميتها باعتبارها واحدة من أهم الاشكال الرئيسة للحرب غير التقليدية بين مختلف القوى العالمية والإقليمية، وحاضرة بقوة بين المعسكر الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة والمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق، كما يرى الباحث المختص في شؤون الحرب بالوكالة اندرو مومفورد "أذ أنها أصبحت في العصر الحديث، عمليات قائمة على أساس المصلحة، حيث يكون الهدف المحدد مطلوباً (مثل سقوط نظام استبدادي) دون المجازفة بعواقب متوقعة، كتصعيد الصراع مع قوة كبرى منافسة، وبتكلفة نقدية مقبولة (عامل متزايد الأهمية بالنظر إلى حالة الاقتصاد العالمي المعاصر)، ويتم تحقيق كل ذلك دون أن تضطر دولة إلى الالتزام مباشرة بقواتها العسكرية". ونظراً لانخفاض مخاطر المشاركة في النزاع وانخفاض تكلفته، فقد تم استخدام الجهات الفاعلة من غير الدول بما في ذلك الجماعات المصنفة كمجموعات إرهابية، ومؤخراً، تم الاستعانة بشركات الأمن الخاصة، كوكلاء في فترة ما بعد الحرب الباردة¹².

وفي الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضي، كانت أفغانستان ساحة للحرب بالوكالة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق وباكستان والهند وغيرها من الدول، أذ شكلت مرحلة الاحتلال

¹¹ Andrew Mumford, Op. Cit, p. 23.

¹² Bilal Karbulut, Op. Cit, p. 80

السوفيتي لأفغانستان 1979-1989، والتي تركزت أهدافها بدعم النظام الشيوعي المنهار في كابول، فرصة للدول لكي تتخطى بهذه الحرب عبر وكلاء عدة، إذ لجأت الولايات المتحدة وعدد من الدول العربية إلى تقديم الدعم الكبير للجماعات الجهادية المناهضة للاحتلال السوفيتي، حتى أن الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان قد وقع في مارس/إذار عام 1985، على قرار يأذن بتوسيع المساعدات الأمريكية للمجاهدين ليشمل جميع الوسائل المتاحة، بما فيها المساعدات المالية التي ارتفعت من 122 مليون دولار عام 1984 إلى 630 مليون دولار عام 1986¹³.

وأذنت نهاية الحرب الباردة وانقضاء مرحلة الثنائية القطبية وانتشار العولمة، بظهور عصر جديد من الحرب بالوكالة، امتاز بتزايد استخدام التطورات التكنولوجية والتقنية والحرب الإلكترونية والسيبرانية، وهو ما كان واضحاً في الحملات العسكرية التي قامت بها القوات الروسية في الشيشان وداغستان والتدخل الأمريكي في الصومال، وغيرها من الأمثلة، والتي برز فيها موضوع الاستعانة بالشريك المحلي.

كما شكلت العمليات الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة في 11 أيلول/سبتمبر 2001، والحملة التي قادتها لمكافحة الإرهاب والتنظيمات المتطرفة في مختلف أنحاء العالم، منطلقاً لانتشار غير مسبوق لاستخدام الحرب بالوكالة فيها، لاسيما في أفغانستان والعراق وفلسطين ولبنان، والتي برزت فيها أساليب مبتكرة، منها استخدام الشركات الأمنية الخاصة والمتعاقدين ومقاولو الأمن في النزاعات وفرض الأمن، في مقابل استخدام أطراف مناوئة أخرى لتكتيكات مختلفة منها استخدام الجماعات المحلية المتفقة إيديولوجياً معها أو حتى تلك التي تختلف معها مذهبياً أو إيديولوجياً، كما حدث في الدعم الذي تقدمه إيران لحركتي حماس والجهاد في فلسطين¹⁴.

ومن خلال التطور التدريجي لأساليب واليات الحرب بالوكالة، شكلت عدد من دول العالم المتطورة وفي مقدمتها الولايات المتحدة وحدات للعمليات الخاصة تعمل بسرية عالية، تتولى أحياناً مهمة التدخل العسكري أو الاغتيالات في مختلف أنحاء العالم، وتتعاون مع شركات الأمن الخاصة، ومن أبرز هذه

¹³ Andrew Mumford, Op. Cit, p. 72-74.

¹⁴ Candace Rondeaux and David Sterman, David, Twenty-First Century Proxy Warfare; Confronting Strategic Innovation in a Multipolar World Since the 2011 NATO Intervention. USA: New America, 2019. pp. 41-44

https://d1y8sb8igg2f8e.cloudfront.net/documents/Twenty-First_Century_Proxy_Warfare_Final.pdf

التشكيلات يبرز اسم وحدة قيادة العمليات الخاصة الأمريكي (J-SOC)، والتي نفذت العديد من العمليات في أفغانستان واليمن، فضلاً عن عملية اغتيال زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن.

وخلال الفترة التي تلت تأسيس هذه الوحدة، نشطت في العديد من الدول التي تصنف ضمن نقاط تحتل وقوع حروب فيها، كما انها نفذت عمليات مختلفة في دول كثيرة مثل (الجزائر، الأردن، أفغانستان، باكستان، اليمن، العراق، مالي ومناطق في أمريكا الجنوبية وجنوب شرق اسيا)، لكن السمة الأبرز التي صبغت اعمالها، تعاونها المباشر مع بعض شركات المقاولات العسكرية والأمنية الخاصة مثل شركة بلاك ووتر او غيرها، والتي تعمل على تجنيد المقاتلين (المرتزقة) من مختلف الجنسيات لتنفيذ بعض الأهداف الاستخباراتية والاستراتيجية التي تخص الامن القومي الأمريكي. ولاحقاً، وبعد تزايد طرح أفكار ادخال الخصخصة في القطاع العسكري والأمني، استناداً على مبادئ الليبرالية الجديدة، أصبح تدخل المتعاقدين امراً عادياً في الكثير من الحروب التي تدخلت فيها الولايات المتحدة بشكل مباشر او غير مباشر عبر الوكلاء، ومنها في جنوب السودان، جورجيا وأذربيجان، الامارات، حرب اليمن، الحرب السورية¹⁵.

وأدى اندلاع ما يعرف بثورات الربيع العربي في المنطقة وما تبعها من سيطرة للجماعات المسلحة او تلك المتطرفة على مناطق شاسعة من منطقة الشرق الاوسط، الى تزايد استخدام أسلوب الحرب بالوكالة من قبل العديد من الأطراف الدولية والإقليمية، وذلك لتجنب تحمل المسؤولية القانونية من التدخل المباشر، او التعرض احياناً لانتقادات من قبل الأطراف المعارضة لحكومات هذه الدول.

وعليه، فان العديد من الدول والجماعات وفي مختلف القارات استخدمت أسلوب الحرب بالوكالة منذ فترة ليست بالقصيرة، ليشهد النصف الثاني من القرن العشرين، اللجوء بشكل اوسع لاستبدال اشكال وأنواع الحروب التقليدية القديمة لحل المشاكل والصراعات والنزاعات، بأشكال جديدة مستحدثة ومنها على الخصوص أسلوب الحرب بالوكالة، الذي اصبح سائداً في العديد من مناطق العالم بحلول نهاية القرن العشرين، ومستخدماً بقوة في طروحات الكثير من الخبراء والمتخصصين بهذا المجال¹⁶.

¹⁵ محمد العملة، الحرب بالوكالة، مجلة طلقة تنوين، العدد 32، 2017/1/1، <http://www.qawmi.com/?p=7172>

¹⁶ Pavel V. Konyukhovskiy and Theocharis Grigoriadis, Proxy wars, 2018, Berlin, Free University Berlin, School of Business & Economics, p2, <https://www.econstor.eu/bitstream/10419/175882/1/1016108230.pdf>

المحور الثاني: في مفهوم الحرب بالوكالة

تتطلب دراسة وتحليل موضوع مهم مثل الحرب بالوكالة وإعطاء نظرة شاملة عنه، تقديم توضيح لمعنى المفهوم وتفسيره بصورة عامة، إذ قدم العديد من الباحثين والمهتمين بهذا الشأن عدداً من التعريفات التي اخترنا الأبرز منها أو الأقرب للواقع منها، فقد قدم عالم الاجتماع والسياسة كارل دويتش، واحداً من أهم التعريفات الكلاسيكية للحرب بالوكالة عام 1964 قائلاً بأنها "نزاع دولي بين قوتين أجنبيتين، تقاثل على أرض دولة ثالثة، عن طريق التذرع بالتدخل على قضية داخلية في ذلك البلد؛ واستخدام بعض القوى البشرية والموارد والأراضي فيه كوسيلة لتحقيق الأهداف الأجنبية والاستراتيجيات الأجنبية الغالبة"، ومع ذلك، فإن هذا التعريف لا يضع في الاعتبار البعد المحلي للحروب بالوكالة بصورة واضحة، فبالنسبة له، وعليه، فإن الحرب بالوكالة لا يجب أن تركز على صراع محلي قائم بالفعل، بل إنه ينص فقط على أن الحرب هي بالأساس "صراع أو نزاع حول قضية داخلية"، ولا يعرف بوضوح ما إذا كان هناك بالفعل صراع على شكل حرب مستمرة حول هذه المسألة، لذلك، ليس من الواضح تماماً ما إذا كان تعريف "دويتش" يشير إلى الخلافات القائمة محلياً أو في الحرب الموجودة محلياً، لأن الصراع أو النزاع يمكن أن يعني كلاهما¹⁷.

فيما قدم بيرتيل دنير عام 1981 في دراسته المعنونة "تدخل الوكيل في الحرب الاهلية"، تعريفاً أكثر وضوحاً لمصطلح الحروب بالوكالة، حين عرفها "بأنها تعني عدم إشراك الدولة المعنية إلا بشكل غير مباشر، وهو بأن ينجز العمل بشكل كلي أو جزئي شخص آخر، له على الاغلب نفس المصالح"، وحسب رؤيته "يعمل الطرف أ على توفير الدعم المادي للطرف ب، المخصص بالتحديد للتدخل الفعلي، مثل تقديم امدادات الأسلحة وغيرها، ولكي يعمل الموكل والوكيل معاً، يجب أن يكون هناك (توافق في المصالح)، وهذا يفترض وجود علاقة طوعية بين كل من الموكل والوكيل¹⁸.

¹⁷ Merel Martens; 'What kind of war is this?' Exploring the case for a post-post-proxy war definition International, 17

International Relations in historical perspective – Master thesis, 2017, p15

¹⁸ Bertil Duner, Proxy Intervention in Civil wars. Journal of Peace Research. 1981, Vol. 18, 4, p. 356

www.jstor.org/stable/423538

والملاحظ بأن الميزة الأكثر شيوعاً لتدخل الوكيل وفقاً لكريس لوفمان، كما وضحتها في مقالته المعنونة "تقييم ظاهرة تدخل الوكيل"، هي أن الموكل يزود الوكيل بالسلاح أو أي معدات عسكرية أخرى، وبالتالي يعزز من قوة الوكيل ويتجنب مخاطر التدخل المباشر"، في اختلاف واضح لوجهة نظر دويتش، الذي يقول "بأن الأسلحة التي يتم استخدامها، يتم توفيرها من قبل الوكيل نفسه، لكنها تتوافق مع فرضيته بعدم التدخل".

وفي تعريف آخر، يأخذ أندرو مومفورد في الحسبان العامل المحلي وتتنوع الجهات الفاعلة في الحروب بالوكالة بشكل أكثر وضوحاً من دويتش، وبالتالي يصف الحروب بالوكالة بأنها "صراعات يتدخل فيها طرف ثالث بشكل غير مباشر، من أجل التأثير على النتيجة الاستراتيجية لصالح فصيلته المفضلة". هذا هو بالفعل تعريف أوسع من تعريف دويتش في عام 1964، لأنه يتم استبدال القوى الأجنبية، التي أشار إليها دويتش، بعبارة "طرف ثالث"، قد يشير هذا إلى احتمالية تفكير مومفورد في أطراف أخرى غير الدول عندما يكتب "أطراف ثالثة"¹⁹، وهناك تعريف آخر بأنها "رعاية القوات التقليدية أو غير النظامية، والتي تقع خارج النظام الدستوري للدول"²⁰.

وفي هذا الإطار، فقد قدم الرئيس الأميركي الراحل ايزنهاور وصفاً دقيقاً ومنطقياً للحرب بالوكالة، حينما وصفها بأنها "ارخص تأمين في العالم، في حين عدّها الرئيس الباكستاني الأسبق ضياء الحق بأنها ضرورة ملحة للحفاظ على الغليان وتدهور الأوضاع في مناطق النزاع المختلفة، وهي بذلك تمثل حروباً رخيصة الثمن والتكاليف وذات جاذبية استراتيجية لمختلف الدول الراغبة بالانخراط بالنزاعات، كما انها "صراعات يتدخل فيها طرف ثالث بشكل غير مباشر من أجل التأثير على النتيجة الاستراتيجية لصالح فصيلها أو جماعتها المفضلة"²¹.

وعليه، فإن التعريف الأقرب لمفهوم الحرب بالوكالة هو في عدّه "صراعات أو نزاعات بين دول أو أطراف مختلفة (تنظيمات، جماعات أو ميليشيات) تعمل كلها أو البعض منها، بشكل منفرد أو ثنائي أو مشترك، لمصلحة أو لتحقيق أهداف دول أخرى تتصارع من أجل تحقيق مصالحها أو أهدافها

¹⁹ Merel Martens; Op. Cit. p15-16.

²⁰ Candace Rondeaux and David Sterman, David, Op. Cit. p 2.

²¹ Andrew Mumford, Proxy Warfare and the Future of Conflict. The RUSI Journal. 2013

<https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/03071847.2013.787733?src=recsys>

الاستراتيجية، بشكل مباشر أو غير مباشر، بحيث تتولى الدولة المعنية بشكل اساسي بالصراع بعملية تأمين كل ما يتعلق بالأمور المالية الخاصة بالتمويل والرواتب والدعم العسكري لأطراف النزاع والوكلاء، فضلاً عن توفير كل ما يتعلق بالمعدات والأسلحة والتقنيات والدعم اللوجستي والمعلوماتي²².

ووفقاً لمقال نشرته صحيفة شنغهاي ديلي عام 2013، فإن المعنى الحقيقي لهذه الحرب هو مهاجمة العدو باستخدام قوات أو قوة طرف ثالث، أو لإغراء الحليف لمهاجمة العدو بدلاً من القيام بذلك بنفسك²³.

وعند الحديث عن الفرق بين الحرب التقليدية والحرب بالوكالة، يتركز في ان الأولى تمثل استراتيجية رئيسية لتعزيز المصالح والاهداف الوطنية للقوى العظمى الوطنية، فيما تشكل الحرب بالوكالة استراتيجية لإدارة الصراع غير المباشر بين القوى الكبرى، عن طريق إدارة وإدامة الصراع بين الجهات الفاعلة الإقليمية أو المحلية، يتم استخدامه بشكل أساس لمنع وقوع الصراع المباشر والحرب الكبرى بين هذه القوى، وساهمت بالفعل في امثلة كثيرة بتقليل احتماليات اندلاع الحرب الشاملة.

ومن خلال هذه التعريفات، نرى ان العنصر الرئيسي للحروب بالوكالة، يتمثل في قدرة القوى الكبرى على التأثير في شؤون النزاع ونتائجه الاستراتيجية لصالحها مع تجنب المشاركة المباشرة في النزاع، نتيجة لذلك ينبغي أن يكون لدى الدولة الكبرى مصلحة حاسمة في النزاع، وينبغي كذلك أن يكون الوكيل مستعداً للتأثير على مستوى ما من أجل تحقيق تلك المصالح²⁴.

ويقول الجنرال السابق واستاذ العلوم السياسية ديسبورت "بأن ازدياد الاعتماد على الحروب بالوكالة في الصراعات المعاصرة يهدف إلى التعويض عن تراجع فعالية الاستراتيجيات التقليدية والعادية في إدارة النزاعات"، كما تهدف هذا النوع من الحروب أيضاً إلى التغطية على ازدياد عجز الجيوش الحديثة عن مواجهة الخصوم غير المتكافئين أو غير التقليديين²⁵.

²² سامي بيومي، الحروب بالوكالة: هل تتحول إلى سمة مميزة للقرن الحادي والعشرين؟، مجلة درع الوطن، التوجيه المعنوي في القيادة العامة للقوات المسلحة، الامارات، 2016/2/1. <http://bit.ly/358oJbf>

²³ Tim Maurer, Op. Cit, p 387.

²⁴ Gregory D. Stone, Proxy War: A Critical Examination of Superpower Indirect Conflict in Africa. Winnipeg: Faculty of Graduate Studies, Department of Political Studies, University of Manitoba-Master Thesis, 2010. pp. 11-12-25

²⁵ إيزابيل لاسير، هل تكون الحرب بالوكالة مستقبل الحروب في العالم؟ موقع اخبار الخليج. 5 يونيو 2019، <http://bit.ly/2puj11>

فيما قدم فريدريك بيرسون إد، عام 1970، ستة من الأسباب الرئيسة حول تدخل الدول في بلدان أخرى، على الرغم من أنه لم يشر صراحةً إلى تدخل الوكيل، فإنه من الواضح أن المعايير التي وضعها بالتأكيد تغطي بعض الدوافع الأساسية وراء التدخل غير المباشر، وهي²⁶:

1. رغبة الدول الكبرى في التمدد والتوسع الإقليمي.
2. حماية مختلف الفئات الاجتماعية، وبالتالي إدراج القضايا، لاسيما ما يتعلق منها بتكوين الهوية والأقليات.
3. حماية المصالح الاقتصادية.
4. حماية المصالح الدبلوماسية أو العسكرية.
5. الأيديولوجية.
6. موازين القوى الإقليمية.

وهكذا، فإن الحروب بالوكالة هي بدائل منطقية للدول التي تسعى إلى تعزيز أهدافها الاستراتيجية مع تجنب الحروب المباشرة المكلفة والدموية في نفس الوقت، لذلك فقد تم اعتبارها رخيصة نسبياً، وخالية من المخاطر، وسهلة للدول التي لديها القدرة على تجنيد الدول أو المجموعات الأضعف للقتال من أجل مصالحها²⁷.

وعادةً ما تميل الحرب بالوكالة إلى البدء باستخدام القوة الناعمة، من خلال الدبلوماسية والتبرعات وحتى تطوير جماعات التمرد (المنشقة) في بلد ما، لذا فإنه وعند نطاق معين عندما لا تكون القوة الناعمة فعالة، عندها يتم اللجوء إلى استخدام القوة الصلبة²⁸.

وفي هذا الإطار، فقد طرح الكاتب يعقوب بار تحليلاً مهماً في مقالة كتبها منتصف عام 1980، وضع فيها إجابات محددة لعدد من الأسئلة المتعلقة بالحرب بالوكالة منها²⁹:

²⁶ Andrew Mumford, Proxy Warfare, Op. Cit, P31.

²⁷ Bilal Karbulut, Op. Cit.

²⁸ Safril Hidayat and Wawan Gunawan, Proxy War and Indonesia's National Security: Victoria Concordia Crecit, Journal Pertahanan & Bela Negara, April 2017, Vol. 1, p. 8

- ان التدخل غير المباشر للقوى الخارجية هو العنصر الأساسي في الحرب بالوكالة.
 - ان هذا النوع من الحروب لا تقتصر المشاركة فيه على الدول الصغيرة بصفتها الوكيل، بل يمكن اشراك الدول الكبيرة، فضلاً عن الجهات الفاعلة غير الحكومية.
 - يمكن اعتبار الحروب بالوكالة حرباً من جانب واحد، فعلى سبيل المثال شكل الاحتلال السوفيتي لأفغانستان عام 1979 تدخلاً مباشراً اشتمل على نشر اعداد كبيرة من القوات من اجل دعم الحكومة المشكلة هناك، في حين قدم الاميركان الدعم للجماعات الجهادية التي كانت تحارب القوات السوفيتية، وبذلك فقد مثلت هذه الحرب نموذجين من أشكال التدخل، واحدة مباشرة وواحدة بالوكالة.
 - ليس بالضرورة للدول ان تعلن عن نفسها راعية للأطراف المشاركة في الحرب بالوكالة، كما ان الراعي يمكن ان يكون دولة واحدة او أكثر من دولة.
 - ومكن التمييز بين العلاقات المرتكزة على الصداقة او التحالف وبين العلاقات المرتكزة على الرعاية والوكالة، ففي الحالة الأولى تحكم العلاقة باعتبارات الصداقة والتضحية لتحقيق رؤية استراتيجية مشتركة، اما علاقة الوكالة فهي علاقة مصلحة غير دائمة وانتهازية في أكثر الأحيان، وغالباً ما تكون مبنية على أساس الهويات او التهديدات المشتركة.
 - لا يعد كبر او صغر الدولة لاستخدامها شرطاً لاستخدامها كوكيل من عدمه.
- وهذا يعني أن هناك أربع حالات محتملة لاستخدام هذا النوع من الحروب، أولها حالة استخدام دولة أخرى كوكيل، وثانيها دولة تستخدم ممثلاً غير حكومياً كوكيل، وثالثها ممثل غير حكومي باستخدام دولة كوكيل؛ واخرها ممثل غير حكومي يستخدم ممثلاً آخر غير حكومي كعامل وكيل، ومع ذلك، فان الحالة الثالثة، قد تكون مستبعدة نوعاً ما، لا سيما في ضوء حقيقة أنه من الممكن استبعاد المنظمات غير الحكومية والمنظمات الدولية، لان عملهم مكرس بشكل أساسي لتخفيف المعاناة داخل المجتمعات، التي مزقتها الحروب ولإيجاد حلول سريعة وسلمية للعنف المستمر³⁰.

Andrew Mumford, Proxy Warfare, Op. Cit, p 15-17. ²⁹

Michel D. Wyss , Iranian Proxy Warfare in Iraq and Yemen, Submission to the Regions Scholarship 2015/2016, April 1, ³⁰

2016.p11

وعند العودة الى الأسباب الاساسية للتدخل في حروب الوكالة، يمكن تقسيم هذه الأسباب إلى ثلاث فئات رئيسية، وهي³¹:

المخاطرة: فربما تكون الرغبة في ذلك، هي أحد أقوى الدوافع لتبني استراتيجية الحرب بالوكالة وتقليل التكاليف والمخاطر المحتملة، اذ يعد استخدام قوات الوكيل بديلاً قيماً، لاسيما في الحالات التي تكون هناك بعض القيود السياسية حول العمل العسكري المباشر، مثل احتمالية الإدانة الدولية، او التكاليف المالية العالية، أو تكون هناك خسائر كبيرة محتملة.

اما الفائدة: فهناك مجموعة أخرى من الأسباب وراء استخدام الموكل للوكيل، تتعلق بالمصالح الاستراتيجية، فواحدة من هذه المصالح قد تكون الرغبة في الحفاظ على مجالات التأثير أو تعزيزها، وقد تسمح استراتيجية الوكيل بتحقيق ذلك دون الالتزام بالمواجهة المباشرة. وبالمثل، قد يشعر الموكل بالقلق من أن تهدد الدولة المستهدفة الاستقرار في المنطقة او بالتالي تبني قراره الدخول لاعتبارات امنية.

واخيراً الإيديولوجية: قد يكون قرار شن حرب بالوكالة متعلقاً بالإيديولوجية، مثل الدعم الذي قدمته كوبا لحركات التمرد اليسارية في أمريكا اللاتينية، كما يمكن أن تكون العلاقة بين كل من الموكل والوكيل مستندة الى جذور عرقية ودينية، او أن هناك حاجة إلى حماية أقلية من العرق أو الدين المشترك من الاضطهاد في الدولة المستهدفة من خلال إنشاء الوكلاء والاستعانة بهم.

وأخيراً وليس اخراً، فإن القائمة المذكورة أعلاه ليست شاملة، فعلى سبيل المثال، هناك عوامل أخرى تضاف كالانتقام والمصالح الاقتصادية، اذ ان كلاهما قد تدرج في أكثر من فئة واحدة، وبالحديث عن المكونات الاستراتيجية للحرب بالوكالة، نرى انها تتدرج تحت:

1- توفير القوات العسكرية المباشرة وغير المباشرة: الحروب بالوكالة تشبه معظم أشكال الحروب الأخرى، اذ يعد توفير القوات العسكرية العاملة في كثير من الأحيان من الأمور الضرورية،

2- تقديم المساعدة المالية: إذا يعد توفير الأموال إلى فصيل متحارب، بانه من الاستراتيجيات الأوسع نطاقا لديمومة الحرب، ثم يمكن أن ينظر إلى هذا باعتباره شكل من اشكال التدخل في الحرب بالوكالة.

3- تقديم المساعدة غير العسكرية: اذ أشار جوزيف ناي الى مفهوم "القوة الناعمة" في السياسة العالمية، باعتبارها تشكل القدرة على الحصول على ما تريد من خلال الجذب، بدلا من الإكراه، اذ إنه ينشأ من الثقافة والمُثل السياسية لذلك البلد.

4- توفير العتاد: توريد المعدات العسكرية، مثل الأسلحة والذخيرة وغيرها من التكنولوجيا العسكرية، من قبل الموكلين للوكلاء³².

وهناك عدد من الشروط الواجب توافرها، لكي يحسب النزاع على حروب الوكالة، وهي متطلبات تم تسليط الضوء عليها من قبل فقهاء وخبراء القانون وصرحت بها المحاكم الدولية المختصة بهذا الشأن³³:

1- وجود دور رئيس للدول الراعية او التي تتوي التدخل وفي صور عدة، منها إمكانية المشاركة في عمليات عسكرية بصورة مباشرة، او التدخل في عمليات التخطيط العسكري.

2- تدخل الدول بشكل مباشر او غير مباشر في ترتيب أوراق البيت الداخلي للمجموعات المقاتلة، كتعيين قادة هذه الوحدات وباقي المناصب فيها.

3- أهمية وجود ترتيبات مسبقة بين الدول الراعية والمجموعات المقاتلة التابعة لها، والتنسيق في العمليات العسكرية، لا سيما تلك الأساسية التي تتطلب تنسيقاً عالي المستوى مع الدول الراعية.

4- تدخل الدول الراعية وذلك عبر الاشراف والتدخل والتدقيق بمتطلبات العمليات العسكرية التي تقوم بها المجموعات الوكيله لتحقيق الأهداف المرجوة.

³² Andrew Mumford, Proxy Warfare, Op. Cit, p 60-66.

³³ بشير سبهان احمد، موقف القانون الدولي من الحرب بالوكالة او الانابة (حروب الجيل الرابع)، مجلة جامعة تكريت للحقوق، جامعة تكريت، السنة 3، العدد 2، 2019، ص76.

كما يمكن عد الحرب والهجمات الإلكترونية والسيبرانية، لاسيما مع التطور الكبير الذي حصل مع هذه الأنواع من الأسلحة والهجمات، وسيلة مثالية لاستراتيجية الحرب بالوكالة، نظراً لصعوبة تتبع أصول الهجمات الإلكترونية ومنابعها، في كثير من الأحوال، فضلاً عن سهولة استخدامها والميزات التي تقدمها، في سبيل تقنين استخدام كميات كبيرة من الأسلحة والافراد.

فكثير من الدول، في الوقت راهن، تحاول التكيف بشكل او باخر مع الحدود الجديدة للحرب بالوكالة، مع مراعاة التطورات السريعة في الفضاء الالكتروني والسيبراني، واستخدام هذا الأسلوب لغرض مهاجمة الدول المعادية لها وتقويض امكانياتها وتحقيق بعض الأهداف والاستراتيجيات الخاصة بها من خلالها، فضلاً عن الحصول على معلومات امنية او عسكرية او اقتصادية او مهاجمتها او اتلافها من خلال أنظمة الاختراق او الفيروسات، وهو ما يمكن ان يشكل طريقة او اسلوباً سهلاً لتحقيق الأهداف من دون تقديم ضحايا.

وعلى حد تعبير جون مولر، فان تقادم الحروب التقليدية الكبرى والشاملة، والتي تنشب على أثرها مواجهة مباشرة بين دولة وأخرى، وتقلص هذا الشكل من الحروب، نظراً للطبيعة المتغيرة للنظام الدولي عامةً ولنظم كل دولة على حدة بخاصة، منذ منتصف الى أواخر القرن المنصرم، أتاح الفرصة لانتشار هذا النوع من الحروب واستخدامه في أكثر من مكان بالعالم.

وقد حدد اندرو مومفورد أربعة نقاط رئيسية، تعد من الدوافع والمتغيرات الأساسية التي أدت للتحويل الى أسلوب الحرب بالوكالة بشكل واسع ومتزايد³⁴:

1- تزايد اللامبالاة او المعارضة من قبل الرأي العام الغربي تجاه المشاركة العسكرية المباشرة، والتي تمثل الحرب التقليدية او مكافحة حركات التمرد والعصيان، مع وجود شبه اجماع بين الدول المتقدمة عموماً على تقادم أسلوب الحرب التقليدية الشاملة.

2- ظهور الشركات العسكرية والأمنية الخاصة (PMC)، وتزايد الاستعانة بها كوسيلة للتدخل الخارجي الآمن والأكثر نجاحاً.

Alex Marshall, from civil war to proxy war: history and current dilemmas. Small Wars & Insurgencies. 2016, Vol. 27, 2 ³⁴

<https://doi.org/10.1080/09592318.2015.1129172>

3- الاستخدام المتزايد للفضاء الالكتروني، مع تنامي القدرة على شن اشكال متعددة من الهجمات الالكترونية غير المباشرة منخفضة التكاليف والمخاطر على الدول المهاجمة وأجهزتها العسكرية والاستخباراتية، مع إمكانية انكار المسؤولية المباشرة عن هذه الهجمات من خلال إعادة توزيع وتوجيهها من مختلف انحاء العالم.

4- ظهور دول جديدة ومؤثرة على خارطة النفوذ الدولي، وفي مقدمتها الصين، التي تمثل واحدة من أكثر الدول تنافسية مع الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيما في الجوانب الاقتصادية، مما يجعل المواجهة العسكرية التقليدية بينهما شبه مستحيلة او مستحيلة للغاية في المستقبل القريب.

وبهذا، فإن الحروب بالوكالة لا تختلف من حيث المبدأ والشكل العام عن مجمل الحروب التقليدية، فاعلب الاليات والوسائل والطرق المستخدمة في الحرب التقليدية، سواءً تلك المتعلقة بالخطط والأسلحة والإجراءات الأخرى قابلة للتطبيق في الحرب بالوكالة، ولكن الاختلاف بين النوعين يتركز بالأساس على مضمونها وما يتعلق بأطراف النزاع والحرب والادوار التي يتقاسمونها فيه.

وفرضت التغيرات المتسارعة التي اثرت بشكل او باخر على طبيعة النظام الدولي، والتطورات الكبيرة التي حدثت في نظم التسليح ودخول التكنولوجيا الحديثة والحروب الالكترونية والسيبرانية، وانتشار السلاح وسهولة وصوله الى مختلف الأطراف، التي تمثل الدول او الجماعات من غير الدول، فرضت هذه التغيرات وغيرها على الدول او الجماعات، اللجوء الى أساليب بديلة وناجحة أكثر من الحروب التقليدية، توفر نفس النتائج من دون تقديم خسائر فادحة بالأرواح او بالمال، وهكذا، أصبحت الحروب بالوكالة في كثير من الأحيان البديل المنطقي والمناسب لها لان تتخرب في تحقيق أهدافها ومصالحها واستراتيجياتها الوطنية، مع تقليل مخاطر الهزيمة في التدخل المباشر، واحتمالية فقدان الموارد، او حتى التعرض لانتقادات او عقوبات من المجتمع الدولي او المحلي، بحجة التدخل في شؤون الدول الأخرى، اذ اشارت الفقرة 4 من المادة 2 من ميثاق هيئة الأمم المتحدة على ضرورة عدم القيام بهكذا أفعال منافية للقانون الدولي³⁵.

الا انه وبالرغم من كم المزايا الكبير والواضح الذي توفره الحرب بالوكالة للدول المعنية، الا ان هناك بعض الانتقادات المنطقية التي وجهت اليها، وفي مقدمتها صعوبة التحكم الطويل المدى فيها او وقفها، وفقدان السيطرة على الوكلاء من الحكومات او من غيرها، لاسيما مع استمرارها لأوقات طويلة او توفر مزايا او مصالح جديدة لهذه القوى، فضلاً عن إمكانية التخلي عن القوى الراعية او تبديلها من قبل الوكلاء طبقاً لتبدل هذه المصالح او تبدل موازين القوى على الأرض³⁶.

المحور الثالث: مديات تطبيق أسلوب الحرب بالوكالة في المنطقة العربية

لا يمثل الصراع الحالي القائم في المنطقة العربية، صراعاً بين الأيديولوجيات المتعارضة او المتضادة فحسب، بل ان المواجهات والنزاعات الحالية او تلك الجديدة المحتملة بين أطراف النزاع السابقة ووكلائها في المنطقة، مع إمكانية دخول أطراف راعية جديدة، لن تستند فقط الى صدام حول طبيعة وهيكلية العلاقات الدولية والأمن ومراكز القوى والنفوذ والمصالح والثروات، لتشمل مسائل أكثر تشعباً، منها ما يتعلق بالصراع الطائفي والمذهبي والقومي، فضلاً عن السيطرة على موارد الطاقة الحيوية كالنفط والغاز الطبيعي وغيرها من الموارد ذات الإيرادات العالية، مع دخول اطراف فاعلة جديدة من غير الدول، كشركات السلاح التي تطمح بتحقيق عوائد عالية من إيجاد او ادامة هذه الحروب.

وعند النظر بتمعن الى ما يحدث في المنطقة العربية، نجد ان استخدام أسلوب الحرب بالوكالة والتأثير المدمر له موجود بصورة واسعة منذ فترة ليست بالقصيرة، ففي الوقت الذي تبدو فيه النزاعات في أوكرانيا وأفغانستان عالققة في الذهن، تبرز امثلة الصراعات والحروب في كل من (سوريا، ليبيا، اليمن والعراق وغيرها من الأمثلة) على انها امثلة واقعية على الحرب بالوكالة في الوقت الراهن، اذ ان وجود القوات الكردية المدعومة من الولايات المتحدة الامريكية والمستشارين والمتعاقدين الروس في سوريا إلى جماعة الحوثيين المدعومين من إيران والمجموعات الأخرى التي تدعمها الإمارات في اليمن، هؤلاء كلهم يمكن عدّهم وكلاء في العصر الحديث³⁷.

³⁶ ايزابيل لاسير، مصدر سبق ذكره.

³⁷ Candace Rondeaux and David Sterman, Op. Cit.

شكلت الحروب التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب بعد تفجيرات 11 أيلول/سبتمبر 2001، والتي شهدت توسيع خارطة أهدافها لتشمل أكثر من دولة أو أطراف من غير الدول، شكلت فرصة سانحة لها، للاستفادة من مختلف الوكلاء لغرض تحقيق أهدافها الشخصية أو الأهداف المشتركة بين الطرفين، كما حدث بعد احتلال العراق في نيسان/أبريل 2003، واللجوء إلى الشركات العسكرية والأمنية الخاصة ومن مختلف الجنسيات في ترسيخ الأمن، والتي انفتحت عليها الحكومة الأمريكية ما بين 6-10 مليار دولار للفترة بين 2003-2007، أو في ما يتعلق بالاستعانة ببعض الجماعات المحلية وتشكيل ما يعرف بالصحنات لمحاربة تنظيم القاعدة، والتي ضمت أفراداً من العشائر المناوئة للتنظيمات المتطرفة في مناطق غرب العراق.

ومنذ اندلاع ما يعرف بثورات الربيع العربي عام 2011 صعوداً، شهدت المنطقة العديد من الحروب والنزاعات، شاركت فيها العديد من الأطراف المحلية والإقليمية والدولية، بعدهم وكلاء عن أطراف أخرى، ففي ليبيا التي شهدت تغييراً للنظام، بعد أن شهدت البلاد ثورة على حكومة القذافي، الذي تعاهد مع عدد من المقاتلين الأفارقة لقتال المعارضين لحكمه، في حين قدمت العديد من الدول دعماً مالياً صريحاً لما يعرف بالمجلس الوطني الانتقالي المعارض في حربه ضد النظام، إذ تعهدت في حينها مجموعة الاتصال الدولية متعددة الجنسيات حول ليبيا في اجتماعها الذي عقد في أبو ظبي التبرع بمبلغ مليار دولار للمجلس، وذلك لغرض زيادة فاعلية التمرد ضد الحكومة الليبية، والنجاح بإسقاطها في وقت لاحق، وهو ما عد شكلاً من أشكال الحرب بالوكالة، عن طريق دعم المجموعات المتمردة على النظام³⁸.

وحتى بعد سقوط النظام وتشكيل حكومة انتقالية تضم العديد من أطراف المعارضة، استمر دعم الدول المتضادة لوكلائها في هذا البلد، وكان واضحاً انتقال بعض الصراعات الإقليمية للأراضي الليبية، لاسيما الأزمة الخليجية المصرية مع قطر، والتي أثرت بشكل كبير على تصاعد حدة المواجهات بين الأطراف المحلية المتصارعة، فقات ما يعرف (بالجيش الوطني الليبي) بقيادة المشير خليفة حفتر والمدعومة إماراتياً ومصرياً وبدرجة أقل روسياً وأمريكياً، والتي تسيطر على أجزاء واسعة من ليبيا ومن

بينها منطقة الهلال النفطي، قادت أكثر من حملة عسكرية على قوات حكومة الوفاق الوطني برئاسة فايز السراج والمدعومة من قبل قطر وتركيا، والتي تسيطر على العاصمة طرابلس ومناطق أخرى غرب البلاد.

وتعد الازمة السورية كذلك من أوضح الأمثلة على استخدام أسلوب الحرب بالوكالة من قبل العديد من الأطراف في المنطقة العربية، فدل مثل (روسيا، الولايات المتحدة، إيران، تركيا، السعودية، قطر، إسرائيل، وغيرها) انخرطت بشكل واسع في الازمة من خلال دعم الجماعات المسلحة المعارضة او تلك الداعمة للحكومة السورية، او حتى تقديم الدعم المباشر او غير المباشر للحكومة.

فالمحور الذي تمثله الدول الخليجية المدعومة بالولايات المتحدة الامريكية وعدد من الدول الأوروبية، وعبر الدعم الذي قدموه للمعارضة سياسياً وعسكرياً، وجدوا بان الإطاحة بنظام الأسد يوفر فرصة حقيقية لعزل إيران وتقليص سيطرتها الإقليمية، وانهاء طموحها في تشكيل ما يعرف (بالهلال الشيعي)، لذلك فهي لم تتردد في تقديم الدعم المباشر وغير المباشر السياسي والمالي للمعارضة السورية وفصائلها المسلحة بمختلف انتماءاتها في حربها ضد الحكومة السورية.

ولكنه ومع تمكن تنظيم "داعش" من السيطرة على أراضي شاسعة في سوريا والعراق عام 2014، تبدلت التكتيكات الامريكية في هذا البلد، وتغيرت قواعد الحرب بالوكالة، وأصبح الأولوية القصوى لها في سوريا هزيمة التنظيم، من خلال التحول لدعم الجماعات الكردية المسلحة وتقديم المعدات العسكرية والتدريب لها، عبر تأسيس تحالف قوات سوريا الديمقراطية لمحاربة التنظيم ووقف تقدمه، مع اهمال قوى المعارضة السورية الأخرى، التي كانت تمثل الهدف الرئيس لدعم الولايات المتحدة وحلفائها الاخرون، والذي أثر بشكل واضح على ميزان القوى والسيطرة على الأرض.

وفي المقابل فان المحور الذي مثلته كل من (روسيا وإيران) والصين - بشكل نسبي - والمدعوم ببعض الأطراف والفواعل الدوليين وغير الدوليين مثل حزب الله اللبناني او بعض الجماعات العراقية او الأفغانية المسلحة، ادركت بشكل واضح بان الدفاع عن الحكومة السورية وديمومتها ضروري للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية ومواصلة طموحاتها في السيطرة على العديد من المناطق في الإقليم، ولذلك

فهي واصلت تقديم الدعم للجيش السوري من جهة وللأطراف والجماعات المسلحة الداعمة له وبمختلف الاشكال³⁹.

فروسيا، ومن خلال دعمها المباشر للحكومة السورية، سواءً عبر توفير الدعم السياسي لها وحمايتها من القرارات الدولية التي كان من الممكن ان تتخذ ازاءها في مجلس الامن، واستخدام حق النقض (الفيتو)، او من خلال توفير الغطاء العسكري للقوات السورية النظامية او الجماعات غير النظامية المقاتلة معها، والتي اثمرت عن استرجاع أراضي واسعة كانت تحتلها مختلف الجماعات السورية المعارضة لها، سعت موسكو للحفاظ على مصالحها المتعددة الاتجاهات في المنطقة عامةً وفي سوريا بخاصة، والتي وفرت الازمة السورية الفرصة المواتية لها لتوسيعها وترسيخها.

ويرى بعض الخبراء الاستراتيجيين وبالأخص الأميركيين والإسرائيليين أن الحرب الأهلية السورية قدمت فرصة حقيقية لإضعاف إيران وتحجيم نفوذها بشكل حاسم، على أمل أن اضعافها او هزيمتها في سوريا يمكن ان يجبرها على تقديم التنازلات في قضايا أخرى مثل برنامجها النووي وغيرها من الملفات المختلف معها، كما ان ذلك يمكن ان يدفع باتجاه اضعاف قوة حزب الله اللبناني - الحليف الوثيق لطهران - وتقليل نفوذه المتنامي في لبنان وفي المنطقة، من خلال قطع طريق البري والحيوي الواصل بين إيران والعراق من جهة ولبنان من جهة أخرى عبر سوريا.

اذ ان تغيير النظام في سوريا، والذي يشكل بقائه ديمومة لطريق العبور الأكثر أهمية بالنسبة لما يتعلق بدعم وصول الأسلحة وغيرها من اشكال الدعم، لاسيما مع تمتع دمشق بتأثير قوي على العناصر اللبنانية الأخرى، لاسيما مع التغيرات التي شهدتها لبنان منذ أيار/مايو 2008 وسيطرة انصار حزب الله على بيروت لفترة وجيزة، وهو ما عده البعض سبباً مهماً لتنامي وتزايد قوة ونفوذ حزب الله سواءً في امكانياته العسكرية او في مشاركته المؤثرة في الحكومة اللبنانية، خاصةً بعد ان وسع الحزب وحلفائه

Mehdi Rais, Syrian crisis: a proxy war, 2013, Le Journal International,³⁹
https://www.lejournalinternational.fr/Syrian-crisis-a-proxy-war_a692.html

المقاعد التي حصلوا عليها في الانتخابات البرلمانية التي جرت في أيار/مايو 2018 ودوره المؤثر في حكومة سعد الحريري التي تشكلت على اثر ذلك⁴⁰.

وشهدت الازمة السورية تدخل أطراف دولية وإقليمية أخرى على خطها، فروسيا التي تمثل سوريا بالنسبة لها منطقة نفوذها التاريخية، تدخلت عسكرياً بشكل واضح لدعم الحكومة السورية وديمومة بقائها، من خلال القوات العسكرية الرسمية او من خلال المتعاقدين والمستشارين الأمنيين المتواجدين على الأرض، فيما انخرطت تركيا هي الأخرى بشكل مباشر عبر قواتها العسكرية في الازمة او من خلال دعم شركائها من الجماعات المسلحة التي قامت بتدريبها وتجهيزها لغرض السيطرة على الأراضي القريبة على حدودها، والحد من نفوذ الجماعات الكردية المعارضة لها.

وفي الوقت نفسه، برزت العديد من الصراعات الإقليمية المتصاعدة مع ايران، في أراضي كل من (سوريا، اليمن ولبنان)، بما في ذلك الصراع الإيراني الإسرائيلي على الساحة السورية، اذ شهدت أراضي هذه الدولة العديد من الغارات الجوية والقصف للمواقع السورية والإيرانية والجماعات الموالية لها، في محاولة من قبلها للحد من النفوذ الإيراني المتزايد في المنطقة عامةً، والذي شمل أكثر من دولة فيها، على الرغم من العقوبات الأمريكية او الضغوطات الأخرى التي تمارسها في العديد من الملفات، والتي لم تدفع باتجاه تراجع حدة نشاطها وتأثيرها على حلفائها ووكلائها في المنطقة، بل على العكس فان قدرات وامكانيات المقاتلين ازدادت، فضلاً عن تطوير نقل الامدادات والمعدات عبر طرق برية وبحرية جديدة⁴¹.

ومن الملاحظ، بأنه في الوقت الذي خاضت فيه إسرائيل العديد من الحروب المباشرة ضد حزب الله خلال الفترة الماضية، والذي تعده وكيلاً مباشراً لإيران في المنطقة، الا ان القوات الإسرائيلية لم توجه ضربات مباشرة لها، على الرغم من التهديدات المستمرة التي اطلقتها ولأكثر من مرة، ولكنها ادركت وبشكل واضح مخاطر المواجهة المباشرة، التي ستوفر الذريعة المناسبة للجيش الإيراني او وكلائها في

Muriel Asseburg and Heiko Wimmen, a Civil War in Syria. Berlin: Stiftung Wissenschaft und Politik, German Institute for International and Security Affairs SWP, 2013. p. 72

Ian Bremmer, These 5 Proxy Battles Are Making Syria's Civil War Increasingly Complicated. 2018, Time, ⁴¹

<https://time.com/5162409/syria-civil-war-proxy-battles/>

Seth G Jones, War by Proxy: Iran's Growing Footprint in the Middle East. Center for Strategic and International Studies, 2019. وكذلك ينظر : <http://bit.ly/32Sftqj>

المنطقة للرد بشكل مباشر عليها، والتي يمكن ان تؤثر بشكل سلبي على الطرفين، مما دفعهم لاستخدام أسلوب الحرب بالوكالة لتحقيق الأهداف والاستراتيجيات الخاصة بكل دولة مع الحد من الخسائر الفادحة⁴².

والمثال الآخر على استخدام الوكلاء في الحرب، يبرز المثال اليمني، الذي يتصارع على ارضه العديد من الأطراف الإقليمية، فالسعودية من جهتها تدعم حكومة عبد ربه منصور هادي المعترف بها دولياً، فيما تدعم الامارات مجموعات مسلحة موالية لها تطلق عليها تسمية قوات الحزام الأمني، فيما تدعم ايران بشكل علني الحوثيين وبشكل اقل قوات الرئيس السابق علي عبد الله صالح، اذ اتهمت لجنة تابعة للأمم المتحدة إيران بتقديم شحنات غير مشروعة من النفط للحوثيين في اليمن، فضلاً عن ان تقارير دولية أخرى اشارت لتزويدها بطائرات بدون طيار للقيام بضربات ضد اهداف برية في السعودية والامارات، كما ان الولايات المتحدة كانت قد فرضت عدد من العقوبات على المسؤولين الإيرانيين لتزويدهم الحوثيين بصواريخ بالستية بعيدة المدى او طائرات مسيرة بدون طيار، وهو ما جعل العديد من المتابعين للشأن اليمني بأن يعدهم وكلاء لإيران في المنطقة او من خلال تعزيز قدراتهم وامكانياتهم الفنية والتقنية في انتاج الصواريخ والأسلحة الأخرى، عبر امدادهم بالخبراء والمستشارين في هكذا مجالات⁴³.

وتأكيداً لذلك، فقد ذكر الباحث المختص بالشؤون السياسية سيث جونز مدير مشروع التهديدات العابرة للحدود في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية الأمريكي في دراسة بعنوان " الحرب بالوكالة: بصمة إيران المتنامية في الشرق الأوسط"، بان هنا نشاطاً إيرانياً متزايداً في المنطقة على الرغم من الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة وعدد من حلفائها، لاسيما السعودية والامارات، وذلك لإضعاف قدراتها المختلفة وعزلها سياسياً، الا انها وعبر دعم وكلائها وشركائها من الحكومات او من غير الدول، تمارس نفوذها وتؤثر بشكل او باخر على توجيه المجريات الى ما يتوافق مع مصالحها الاستراتيجية.

⁴² Daniel L. Byman, Why engage in proxy war? A state's perspective, Monday, May 21, 2018. Brookings, 21 may 2018.

<https://brook.gs/2Kts113>

⁴³ David Sterman, How Do We Move Beyond 'Proxy' Paralysis?, 2019, New America, <http://bit.ly/2CO1QOK>

فبالرغم من المشاكل الاقتصادية التي عانتها خلال المرحلة السابقة، والتي أثرت على اقتصادها المحلي، إلا أن ذلك لم يؤدي إلى تراجع نشاطها المؤثر في المنطقة، على الأقل حتى لحظة انجاز هذه الدراسة، فوفقاً للبيانات والمعطيات التي جمعتها الدراسة الآتفة الذكر، فإن إيران وعبر البعض من مؤسساتها الرسمية مثل (الحرس الثوري وفيلق القدس) ملتزمة بدعم شركائها المحليين في سوريا والعراق واليمن ولبنان وفلسطين، مع محاولة إنشاء طرق برية جديدة تعمل على زيادة الروابط المشتركة بين الأطراف مجتمعة، وزيادة امكانياتها على نقل السلاح والمال والمقاتلين من مكان لآخر، فضلاً عن العمل مع هذه الأطراف للتحايل على العقوبات الدولية المفروضة عليها⁴⁴.

وبعد احتلالها للعراق عام 2003، اتهمت الولايات المتحدة، مراراً وتكراراً، إيران بتنفيذ برنامج على درجة عالية من السرية والتشعب وتعدد الجوانب في العراق، لتحقيق مجموعة من الأهداف الخاصة بتعزيز مصالحها القومية وتقويض المصالح الأمريكية والغربية في المنطقة، وهو امتداد للبرنامج السري الذي كانت تقوده طهران ضد نظام الحكم في العراق قبل 2003، وقد سمح الاحتلال الأمريكي وما تلاه من أحداث من تكثيف جهودها لفرض ارادتها في هذا البلد، وتأكيداً لذلك فقد صرح السفير الأمريكي في بغداد عام 2008 "بأن إيران كانت تخوض بالفعل حرباً بالوكالة ضد بلاده في العراق، وانها قدمت السلاح والعتاد للجماعات المسلحة التي قادت عمليات عسكرية بالضد من المصالح الأمريكية"⁴⁵.

ولعل التأثير المتزايد لهذه القوى على الأرض وسطوتها الواضحة على حكومات هذه الدول، لاسيما مع التغييرات التي شهدتها المنطقة على أثر الاحتلال الأمريكي للعراق واندلاع ما يعرف بثورات الربيع العربي، خير دليل على نجاح الحكومة الإيرانية في استخدام أسلوب الحرب بالوكالة في هذه النماذج، وإمكانية ادامة نفوذها أو التحرك نحو أماكن أخرى غير تلك التي تم التطرق إليها، أو المناورة في حال تغير الولاءات أو مواجهة رفض محلي أو شعبي أو من تلك الأطراف التي تمتلك نفوذاً دينياً أو

Seth G Jones, War by Proxy: Iran's Growing Footprint in the Middle East, Center for Strategic and International Studies, ⁴⁴

2019, <http://bit.ly/32Sftqj>

وكذلك: سيث جونز، الحرب بالوكالة: بصمة إيران المتنامية في الشرق الأوسط، شبكة النبا المعلوماتية، 2019.

<https://annabaa.org/arabic/strategicissues/18744>

⁴⁵ بن كونايل، جاسون كامبل ودان مادن، توسيع واستغلال الحدود الفاصلة لشن الحرب الشاملة، مؤسسة راند، كاليفورنيا، 2016، صفحة 24.

عشائرياً، وحتى إمكانية التواصل مع بعض المجموعات التي تختلف معها مذهبياً أو قومياً، كما حصل في دعمها لحركتي حماس والجihad الإسلامي في فلسطين.

بيد ان عدد اخر من المتابعين للشأن اليمني، كان لهم رأياً مغايراً، فيما يتعلق بكون الحوثيين وكلاء لإيران من عدمه، مؤكدين بانهم عبارة عن مجموعة محلية شكلت وفق مقتضيات داخلية مع دعم خارجي محدود، وفي هذا الاطار فقد ذكر الخبير العسكري والأستاذ في جامعة اوتاوا الكندية توماس جونو عام 2016 بان الدعم الإيراني للحوثيين محدود وان تأثيرها على الوضع هناك هامشي، ومن غير المنطقي الادعاء بانهم وكلاء لإيران في المنطقة، وبالمثل فقد اكد المحللان جوست هيلترمان وزقاق أبريل لونجلي بأن "الحوثيين ليسوا مثل حزب الله، وأن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يريد تكثيف القتال بالوكالة ضد ايران في اليمن، وذلك من خلال إعادة ربطهم سوية"⁴⁶.

وتأسيساً على ذلك، فان العديد من العوامل والدوافع أدت الى زيادة انتشار أسلوب الحروب بالوكالة في المنطقة العربية، لاسيما بعد اندلاع ما يعرف بثورات الربيع العربي والتغييرات التي شهدتها الأنظمة السياسية في العديد من دول المنطقة، ومحاولة العديد من الأطراف الدولية والإقليمية فرض هيمنتها وسيطرتها عليها بشكل تام، من خلال تقديم الدعم المباشر او غير المباشر لوكلائها من الحكومات او غيرها من الجماعات المعارضة او المتمردة.

كما زاد من انتشار هذه الحروب، إعادة انتاج محاور جديدة في المنطقة ومحاولة كل محور فرض ارادته او ترتيباته في المنطقة، عبر دعم الوكلاء القريبين لأفكاره او أيديولوجياته، في محاولة منه لتحقيق أكبر قدر من المكاسب التي تجنبه عملية الصدام المباشر العالي الكلفة، ومع ان الأمور كادت ان تصل الى هذه المرحلة من الصراع في أكثر من مثال، الا ان توفر الظروف الملائمة والجهات المستعدة للحرب بالوكالة عن هذه الدول، جعلها تتجنب الصدام المباشر، وتلجأ لأسلوب الحرب بالوكالة، وهو ما كان واضحاً في الصراع بين الولايات المتحدة وإسرائيل وبعض الدول العربية من جهة وإيران من جهة أخرى.

ورغم ان المهتمين بشؤون المنطقة يذهبون باتجاه ربط أسبابها بصراع المحاور والنفوذ والمصالح والايديولوجيات والثروات، الا ان بعضهم يربطها كذلك وبشكل كبير بمصالح شركات انتاج الأسلحة الكبيرة والتجار المتخصصين بتوفير احتياجات الجماعات المسلحة، سواءً أولئك الذين يعملون بشكل معلن او غير معلن، فالحروب والنزاعات التي شهدتها المنطقة خلال المرحلة الراهنة وفرت فرصة سانحة لزيادة عائدات هذه الأطراف بشكل عام، وتأكيداً لذلك، فقد ذكر توم كيندي الرئيس التنفيذي شركة رايتون الامريكية لإنتاج الأنظمة الدفاعية بان شركات السلاح زادت بشكل كبير من مبيعاتها للمنطقة، لاسيما بعد تصاعد النزاعات في دول كثيرة مثل اليمن وليبيا وسوريا والعراق⁴⁷.

كما انه لا يمكن تجاوز أهمية الثروات المختلفة التي تحتويها المنطقة، وفي مقدمتها النفط والغاز، في دفع الدول لدعم الوكلاء لتحقيق أهدافها، كما نوه عن ذلك الباحث في شؤون الاقتصاد كريستوفر ديفدسون في كتابه "الحرب الخفية: سر الصراع من اجل الشرق الأوسط"، مؤكداً بان اغلب العمليات التي دعمتها الدول في المنطقة، كانت لتعزيز المصالح الجيوسياسية او الاقتصادية.

كما ان بروز العديد من الدول التي تحسب على خانة (الدول الفاشلة) في العالم عامةً وفي المنطقة العربية بخاصة، زاد من إمكانية انتشار واستخدام أسلوب الحرب بالوكالة، اذ ان هناك ربط منطقي لفشل الدولة او ضعفها وهشاشتها بالحرب بالوكالة، اذ ان هكذا حالات يمكن ان ترفع من احتمالية استخدام هذا الأسلوب من الحرب من قبل الأطراف الخارجية، وفي مقدمة هذه العوامل تأتي نقاط مثل اختراق الحدود وضعف أنظمة الرقابة والتفتيش والسيطرة وانتشار الفساد والرشوة والمحسوبية، الامر الذي يسهل من عملية اختراق السيادة والامن الوطني، مما يؤثر بالتالي على انتقال التمرد او العصيان تمهيداً لنزاع أوسع، يصعب إيقافه من قبل الدولة المعنية من دون الحصول على مساعدة او دعم اطراف خارجية.

فضلاً عن ظهور تفسيرات أخرى من المعنيين بهذا الشأن ربطت بشكل او باخر بين هذه الحروب ومخططات إعادة ترتيب أوراق المنطقة من جديد، وإمكانية ظهور تفاهات جديدة تلغي او تعيد صياغة الاتفاقات الدولية السابقة، مع احتمالية رسم حدود دولية جديدة، يمكن ان تعيد تشكيل ميزان القوى الدولي والإقليمي في المنطقة، فيما يربط البعض الاخر تنامي الحرب بالوكالة بطموحات بعض القوى

⁴⁷ النفط والأسلحة أبرز محركاتها: حروب الوكالة في الشرق الأوسط. قسم الترجمة. 7675، البحرين، 2017، الايام، صفحة 14.

الإقليمية التي ترى في هذا الوقت بالذات الفرصة المواتية لتنفيذ بعض من مشروعاتها وأهدافها الاستراتيجية على حساب الدول الأخرى، لاسيما الدول العربية التي تعاني من ظروف غير طبيعية منذ فترة ليست بالقصيرة، سواء لانشغالها بترتيب أوراق بيتها الداخلي، أو انتشار الفوضى في البعض الآخر منها لدرجة إمكانية تقسيمه⁴⁸.

وهكذا، فإن الصراع المحتدم والمتصاعد من أجل الهيمنة والنفوذ والمصالح والثروات وامدادات الطاقة وطرقها في المنطقة العربية، من قبل العديد من الأطراف الدولية والإقليمية المهمة بشؤونها، هو الذي سيكون السبب الرئيس والمباشر في استمرار الصراعات والنزاعات بالوكالة، مع توفر الأرضية الخصبة والأدوات المحلية أو غير المحلية المستعدة لتنفيذ الاجندات والاهداف في أكثر من بلد عربي، فضلاً عن إمكانية تصاعد حدتها مع التغيرات السياسية التي يمكن ان تشهدها حكوماتها، واحتمالية انتقال الصراعات الى أراضي دول أخرى جديدة.

وتأسيساً على ذلك، فإن الوضع الراهن او المستقبلي في المنطقة العربية والتغيرات الجيوسياسية التي تشهدها يمكن ان يزيد من احتمالية ان تشهد تصاعداً ملحوظاً في استخدام أسلوب الحرب بالوكالة من قبل العديد من الأطراف والقوى الدولية والإقليمية وفي أكثر من مكان، للمزايا العديدة التي توفرها والتي تم التطرق لها انفاً، فضلاً عن توفر الشروط والأجواء الداعمة لبقاء وديمومة صراع المحاور الذي ساد المنطقة خلال المرحلة الراهنة، ولحد انجاز هذه الدراسة.

الخاتمة

وعليه، فإن المعطيات التي قدمتها الدراسة تشير الى ان استخدام الحروب بالوكالة ووفقاً للتجارب التاريخية من قبل العديد من الدول والاطراف يمكن ان يؤدي الى اهداف متناقضة، فبعضها يهدف الى تحقيق تغيرات عنيفة ذات طبيعة انتقامية تتوافق مع الاستراتيجيات المرسومة لها من قبل الدولة الراعية للوكيل، والبعض الآخر يحصر أهدافه بتحقيق عمليات صنع السلام والاستقرار او حل الصراع او تقليل اثاره الكارثية في المناطق التي تتدخل فيها، وهو ما يتطلب احياناً تغييراً في التكتيكات والاليات المتبعة سواءً من قبل الدول الراعية او من قبل الوكيل.

⁴⁸ سامي بيومي، مصدر سابق.

فيما يركز البعض الآخر من الوكلاء على تنفيذ اهداف الوكيل واستراتيجياته الحصرية، او تلك التي توفر بيئة مناسبة للوصول لها، حيث يمكن ان تقلل هذه العملية بالمجمل من التكاليف البشرية والمالية للتدخل المباشر من قبلها، وان تحقق أكبر قدر من هذه الأهداف، في حين ينتقل البعض من الوكلاء لتحقيق أهدافه الخاصة الى جانب تحقيق اهداف الوكيل، وفي أحيان أخرى يركز الوكيل على هذا الهدف متجاهلاً ما تم تكليفه به في وقت سابق.

وبفعل التعقيد والتشابك الذي صبغ الصراعات والنزاعات في المرحلة الراهنة، وهيمنة تحقيق المصالح والاهداف من خلال البدائل، وعدم الرغبة بتقديم أي توضيحات تذكر من قبل الدول، مع التطور الكبير الذي حصل في طبيعتها والمعدات العسكرية والتقنية والتكنولوجيا المستخدمة فيها، فضلاً عن انتشار العولمة وانعكاساتها وتأثيراتها على مجمل الواقع الاقتصادي والسياسي للدول، والتي أدت لحصول تشابك في المصالح والاهداف بين الدول والأطراف الفاعلة من غير الدول كالشركات، فان اللجوء لهذا النوع من الحروب ازداد وانتشر، لاسيما في منطقتنا العربية التي تشهد حروباً ونزاعات عديدة، بمشاركة دول وأطراف دولية وإقليمية تمتلك مصالحها الخاصة، في سوريا وليبيا واليمن وغيرها من الدول.

وتشير الاتجاهات الحديثة في العلاقات الدولية، بان الكثير من دول العالم سيزداد اعتمادها على أسلوب الحرب بالوكالة، وسيستمر اعتمادها على الوكلاء في تأمين المصالح الوطنية الحيوية، للأسباب والعوامل التي قدمتها الدراسة او للحفاظ على سرية العلاقة والتخلص من التبعات القانونية لها، وهذا لا يعني نهاية عصر الصراعات والحروب التقليدية، بل انه سيوفر البيئة الخصبة لزيادة اللجوء الى استخدام أسلوب الحرب بالوكالة، للمزايا العديدة التي يقدمها هذا النوع، وللظروف الخارجية والداخلية التي تمر بها مختلف الدول، والتي تطرقت لها الدراسة، وهو ما بدا واضحاً في النماذج التطبيقية للحرب بالوكالة في المنطقة العربية، والتي طغت على حروبها في المرحلة الراهنة أسلوب الحرب بالوكالة، لتأمين مصالح الدول المستفيدة والراعية والعمل على تحقيق الأهداف الاستراتيجية الخاصة بها.

كما ان التطورات الانفة الذكر وغيرها من الدوافع الداخلية والخارجية، افرزت ظهور دول جديدة استخدمت هذا الأسلوب من غير الدول العظمى، لاسيما في النزاعات المسلحة التي شهدتها المنطقة العربية بعد اندلاع ما يعرف بثورات الربيع العربي، والتغيرات الجيوسياسية التي قدمت اشكالا جديدة

ومبتكرة احياناً للحرب بالوكالة، شهدت زج جماعات من غير الدول، مثل الشركات الأمنية الخاصة، او الجماعات المتطرفة المسلحة، والذين اصبحوا اليوم وفي حالات كثيرة من قادة الحرب بالوكالة الرئيسيين، كما ان دخول الجانب الاقتصادي والعوائد المالية العالية لهذه الأطراف وغيرها، زاد هو الاخر من انتشارها وتوفير الأرضية الخصبة لانتشارها في العالم عامةً وفي المنطقة العربية بخاصة.

References

1. Tim Maurer, Proxies' and Cyberspace, Journal of Conflict & Security Law Oxford University, October 2016. <https://carnegieendowment.org/files/JConflictSecurityLaw-2016-Maurer-383-403.pdf>
2. Andrew Mumford Proxy Warfare, Cambridge, Polity Press, 2013.
3. Amos C. Fox, In Pursuit of a General Theory of Proxy Warfare, USA: The Institute of land warfare at the association of the United States army, 2019. <https://www.ausa.org/sites/default/files/publications/LWP-123-In-Pursuit-of-a-General-Theory-of-Proxy-Warfare.pdf>
4. Moza Al Abbar, The Absurd Time and the Proxy War, Emirati newspaper, Al Bayan, 11/24/2019 <http://bit.ly/2q9r5rP>
5. Maxim Worcester, Putin's Proxy Warfare Strategy, Issue No. 282, August 2014, Berlin, ISPSW Strategy Series: Defense and International Security https://www.files.ethz.ch/isn/182503/282_Worcester.pdf
6. Khalif Mustafa Gharaibeh, Aspects of the Historical Geography of the Spanish Civil War (1936-1939), Cannes Historical Journal, Issue 5, September 2009. <https://elibrary.medi.u.edu.my/books/2014/MEDIU01534.pdf>
7. Trajan Shipley, How can we understand proxy war strategy, Non Post, 2017 <https://www.noonpost.com/content/20412>
8. Bilal Karbulut, Proxy Warfare in Ukraine, the Journal of Defense Sciences, 2018, Vol. 17, 1. http://www.kho.edu.tr/akademik/enstitu/Alp_SAVBEN_dergi/171/3.pdf
9. Michel D. Wyss, Iranian Proxy Warfare in Iraq and Yemen, International Institute for Counter-Terrorism, 2016. <https://www.ict.org.il/UserFiles/ICT-Rag-Iranian-Proxy-Wyss.pdf>
10. Candace Rondeaux and David Sterman, David, Twenty-First Century Proxy Warfare; Confronting Strategic Innovation in a Multipolar World Since the 2011 NATO Intervention. USA: New America, 2019. https://d1y8sb8igg2f8e.cloudfront.net/documents/Twenty-First_Century_Proxy_Warfare_Final.pdf
11. Muhammad Al-Amleh, Proxy War, Shot Tanween Magazine, No. 32, 1/1/2017 <http://www.qawmi.com/?p=7172>
12. Pavel V. Konyukhovskiy and Theocharis Grigoriadis, Proxy wars, 2018, Berlin, Free University Berlin, School of Business & Economics, <https://www.econstor.eu/bitstream/10419/175882/1/1016108230.pdf>
13. Merel Martens; 'What kind of war is this?' Exploring the case for a post-post-proxy war definition International, International Relations in historical perspective – Master thesis, 2017.
14. Bertil Duner, Proxy Intervention in Civil wars. Journal of Peace Research. 1981, Vol. 18, 4. www.jstor.org/stable/423538
15. Andrew Mumford, Proxy Warfare and the Future of Conflict. The RUSI Journal. 2013 <https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/03071847.2013.787733?src=recsys>
16. Sami Bayoumi, Proxy Wars: Will It Become a Distinguishing Feature for the Twenty-first Century, Al-Watan Magazine, UAE Army, 1/2/2016 <http://bit.ly/358oJbf>
17. Gregory D. Stone, Proxy War: A Critical Examination of Superpower Indirect Conflict in Africa. Winnipeg: Faculty of Graduate Studies, Department of Political Studies, University of Manitoba-Master Thesis, 2010.
18. Isabelle Lasier, will the proxy war be the future of wars in the world? Gulf News website. June 5, 2019 <http://bit.ly/2pujJ1I>
19. Safril Hidayat and Wawan Gunawan, Proxy War and Indonesia's National Security: Victoria Concordia Crecit, Journal Pertahanan & Bela Negara, April 2017, Vol. 1.
20. Michel D. Wyss, Iranian Proxy Warfare in Iraq and Yemen, Submission to the Regions Scholarship 2015/2016, April 1, 2016. <https://www.ict.org.il/UserFiles/ICT-Rag-Iranian-Proxy-Wyss.pdf>
21. Bashir Sabhan Ahmed, The position of international law against proxy or proxy war (fourth generation wars), Tikrit University Journal of Law, Tikrit University, Year 3, Issue 2, 2019.
22. Alex Marshall, from civil war to proxy war: history and current dilemmas. Small Wars & Insurgencies. 2016, Vol. 27, 2 <https://doi.org/10.1080/09592318.2015.1129172>
23. Mehdi Rais, Syrian crisis: a proxy war, 2013, Le Journal International, https://www.lejournalinternational.fr/Syrian-crisis-a-proxy-war_a692.html
24. Muriel Asseburg and Heiko Wimmen, a Civil War in Syria. Berlin: Stiftung Wissenschaft und Politik, German Institute for International and Security Affairs SWP, 2013.
25. Ian Bremmer, These 5 Proxy Battles Are Making Syria's Civil War Increasingly Complicated. 2018, Time, <https://time.com/5162409/syria-civil-war-proxy-battles/>
26. Seth G Jones, War by Proxy: Iran's Growing Footprint in the Middle East. Center for Strategic and International Studies, 2019. <http://bit.ly/32Sftqj>
27. Daniel L. Byman, Why engage in proxy war? A state's perspective, Monday, May 21, 2018. Brookings, 21 may 2018. <https://brook.gs/2Kts113>
28. David Sterman, How Do We Move Beyond 'Proxy' Paralysis?, 2019, New America, <http://bit.ly/2CO1QOK>

29. Seth G Jones, War by Proxy: Iran's Growing Footprint in the Middle East, Center for Strategic and International Studies, 2019, <http://bit.ly/32Sftgj>
30. Seth Jones, Acting War: Iran's Growing Imprint in the Middle East, Al- Nabaa Network, 2019. <https://annabaa.org/arabic/strategicissues/18744>
31. Ben Conabel, Jason Campbell and Dan Madden, Expanding and Exploiting the Boundaries to Wage All-Out War, Rand Corporation, California, 2016.
32. Oil and weapons are the most prominent engines: Agency wars in the Middle East. Translation department, 7675, Bahrain, 2017, Al-Ayam Newspaper.